دور القرويين فى التنبيه والتنويه

العلامة الاستاذ الفاروق الرحالى
عميد كلية الدراسات العربية
ورئيس المجلس العلمى بمراكش

مما لا امتراء فيه ولا افتراء ان القرويين مؤسسة اجتماعية وجامعة تاريخية ، حملت بامانة دعوة الحق لتبلغها الى اهلها وذويها ، وكسبت عن جدارة سمعة طيبة فى العالم بجدها وجهادها وناضلت ضد الحركات العدائية والحملات الصليبية ، التى كانت من ورائها جحافل الصهيونية والمجوسية فانبعث من بين جدرانها ابطال واسود ، ليسددوا الضربات الى الاعداء السود ، وكانت مركزا قويا لاشعاع الثقافة العربية ، والهداية الاسلامية ، والعلوم الانسانية منذ زمن بعيد وامد طويل .

فنحييها بحرارة تحية الاجلال والاكبار ، وننظر اليها نظرة المسرة والاعتبار .

اجل انها واجهت فى حياتها المديدة ، وقائمتها العريضة ، حضارات موسعة وثقافات منوعة ، وتيارات متنازعة ، واعداء مدسوسين ، واعداء مسلحين ، فرتبت رتوب الكعب فى المقام الصعب ، وامسكت بعقيدتها وشريعتها وهما اقوى وارسى عقيدة ، وانقى واسمى شريعة .

وها هى اليوم على الرغم من قوة الاضداد وضعف الانصار ، وقلة الاستبصار تقوم ثابتة فى الميدان وبالمرصاد لكل شيطان لا تتزعزع ولا تتضعضع ، حتى قيض الله لها من افراد الناس واحفاد خير الناس ، من اجل مكانها ورفع مقامها وبعثها بعثا لتؤدى الرسالة التى خلقت لها بشكل يتناسب والعصر الجديد ، والاسلام جديد فى كل عصر من العصور ، وقائم فى كل دهر من الدهور .

ذلكم هو الرائد الاول الذى حاز قصبات السبق فى الفضائل والمكارم مولانا محمد الخامس رحمه الله — والرائد الثانى الذى خصه الله بعظيم المزايا وصدق المقاصد والنوايا مولانا الحسن الثانى حفظه الله ، الا انها مع هذه المعاضدة والمناصرة الظاهرة لا تزال فى حاجة الى المعين والنصير ، وفى ضرورة الى الخبير والبصير — لتوقظ بايمانها الضمائر ، ولتعلن بجهادها البشائر ، ولتاخذ الكتاب بقوة فتدفع الدوافع ، وتمنع الموانع ، ولتشد عضد الاخوات — فى بعث النظام الاسلامى واحياء التراث الذهبى — وفى دحض الشبهات والمغالطات التى يوحى بها ادعياء الشعوب ويسير بها مراض القلوب فى شباب لم يتسلح بعد بسلاح التربية الاسلامية ، ولم يتحصن بحصن العقائد الالهية .

ومن سنن الجامعات التى هى من المجتمع والى المجتمع ان تنشد حياة تقوم على جميل الآداب وكريم الاخلاق ، وان تشمل حياة المادة والروح لان الاسلام يمزج بينهما ويقوم عليهما ، فلا مفر من الاستجابة لمطالب الدنيا ومطالب الاخرى ، وان ترتكز على اصول صحيحة ومقاييس سليمة ، وتستجلى رغائب الانسان ، وتستخرج طاقاته باقرب ما يكون من

الطرائق ، واقوى ما يمكن من اسباب التعاون لخلق نشاط وحماس فى الدراسات الاسلامية ، وللنهوض بشتى البحوث العلمية ، وللتقارب بين الثقافات الانسانية على الرغم من اختلاف مظاهر قوتها ومذاهب فلسفتها — ولتتآزر تآزرا يضم الجهود ويرفع المستوى ، ويحفظ السلام .

ولا حرج ان نسلك مسلكا جديدا فى كل جنس من اجناس الحياة اذا استطعنا ان لا نغير حكما من احكام الله ، ولا نضيع حقا من حقوق الانسان ، وتلك هى مزية الثقافة التى تربط بين القديم والجديد ، وتأخذ من الطريف والتليد ، اذ لا تتنافى الحضارات فى الاصول والمحاسن ، وفى مدلول التطور ومفهوم التقدم .

واما حياة تنبو عن المكارم ، وتفضى الى عبادة المادة ، وتدفع الى استعارة كل شىء فتعرض شخصية الشعوب لتلاشى الوجود واضمحلال البقاء ، وذلك اخطر ما ينوب الامم عندما تريد أن تتدرج الى مجاراة الامم الناهضة ومحاكاتها فى الحياة القائمة .

وان اعتبار الجامعات ليس منوطا بنشأتها وضخامة عنوانها ولا بتقدم زمانها وطول حياتها — وانما يناط بما تسجله من مفاخر العلم والحضارة، ومواقف الجد والصرامة ، فى الدفاع عن معالم الحق ومطالب القرآن ، التى هى قوام الحياة وعماد النهضة — وبما تصنع من رجالات يقدرون على تحمل المسؤولية ، ويعملون من أجل السعادة — وبذلك تستطيع ان تكون — الطاقة الكبرى لتوجيه حياة الاسلام الصحيحة ، وتدعيم قوة الايمان الكاملة ونقطة الانطلاق الى كل نشاط معقول وحماس مرغوب وجهاد مطلوب .

ولا غنى عن وجود مثل هذه الطاقة ، التى تنير السبيل امام الاجيال الصاعدة والفائضة ، والتى تربط القلوب برباط الود والاخاء ، وتعمل على تنمية الفكر وثقافة العقل ، وتميز بين مفهوم الخير ومفهوم الشر بصفة اقوى وافضل — لتعود مركزا للتوازن بين القوة الروحية الهائلة ، والقوة المادية السافلة ، التى لها دعوات متكررة — الى التمرد على الايمان بالله والايمان بالمثل العليا — والى الالحاد فى كلمات الله واسماء الله — والى الاستهزاء بأحكام الله والتفريق بين عباد الله .

واذا فلا مناص من سلاح قوى مستقيم يقف فى وجه المادية التى تفسخ القيم والاخلاق ، وتمزق الروابط والعلائق وهو لا يوجد الا بساحة جامعة القرويين ومثيلاتها فى عالم العروبة والاسلام .

ومن واجب هذه القوات الاسلامية ، والجامعات الدينية ان تتساند ضد العدوان المادى الذى يهدد المومن فى ايمانه واخلاقه ، وفى وجوده ونهوضه ، ويدعو فى صلابة ووقاحة الى التخلص من سلطة الشرائع ، والتحرر من فضيلة الاديان .

ولولا مناعة الدين وحصانة العقيدة لسيطرت المذاهب المادية والنظريات الملتوية على عقل الانسان وعبثت بفكره ومصيره ، وذلك اكبر خطر واعظم شقاء يتعرض له الانسان فى اطوار حياته ومراحل وجوده .

وليس فى الامكان ان تقوم علاقات على اساس اهمال الاديان ، ونسيان الشرائع ، كما تريد وكما تجتهد السياسة المادية ، فالعقائد والشرائع اكبر حائل دون تسرب المذاهب الشاذة الى شعوبنا ، واقوى عائق لها عن الاستيلاء على عقولنا ، بيد أن الجهل بمقاصد الاسلام ، وقلة التجاوب مع الاوضاع المشكلة ربما يشكل خطرا على عقائدنا ودعائمنا فلا بد من تفهم كامل وعمل حاسم وجهاد صادق للاطاحة بكل واجهة من واجهات الغارة المادية ، والغارة اللغوية ، فما على الجامعات الاسلامية الا ان تتشبث برسالتها المقدسة غير عابئة بما يدس من عراقل فى طريقها — والا ان تتعاضد لانقاذ الاسلام من مهواة السقوط ودعاوة العجز والجمود ، على ان تجتهد فى العمل ، وتتجدد فى الزمن فان كل شىء قد تحركت دواليبه ، وتجددت اساليبه ، والله المستعان وعليه التكلان .